لا يَرتجي الجار خيراً فى بيوتهم ولا مَحالةَ منْ شَتم وألقاب

فجارُهم متبذلٌ فيهم ، يائسٌ من خيرهم ما دام فى حيهم ، يُلقى بالاستخفاف ويُرمى بالألقاب ويُشتم . وسار زهير بنُ أبى سُلمى على هذا ، فذمّ من لا يحفظ الجار :

وجـــار سَارَ مُعتمداً إليكم أجاءته المخـــافةُ والرجـــاءُ

كما سار الحطيئة فى السبيل نفسها فتناول من لا يجير ولا يكرم :

جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزله وغادَرُوه مقيما بَينَ أرماس[1]
مَلوا قِراه وهرّتْه كلابُهم وجرّحوه بأنياب وأضراس[2]
دَع المكارم لا ترْحل لبغيتها واقعد فإنكأنتَ الطاعمالكاسى

وهذا كلام لا تدخله بذاءة لفظ أو تقعّر تعبير ، فليس فيه إفحاش ولا إقذاع ، ولكنه فنّ جميل فى إذلال المهجو ورميه بالانصراف عن الكرم والنبل ، فى صور حسية عربية جاهلية ، تجد فى نسيان الجار مذلةً وفى الوقوف عن الضيافة معرّة . فالكلابُ تدفع الناس عن البيت والرجل يقيم مكسوًّا مطعماً ليس له همٌّ من دنياه إلا أن يأكل وأن يلبس ، وفى هذا هجاء عظيم بليغ . والشاعر يهجو أمه لأنها لا تحفظ السرّ كما هجاها الجاهلى قبل قليل ، فقال :

إتنحَّىْ فاجلسى منى بعيداً أراحَ اللهُ منك العالمينـــا
أغربالا إذا استودعت سرًّا وكانوناً على المتحـــدثينـــا[3]
حياتُك ما علمتُ حياةَ سوء وموتُك قد يسر الصالحينا

فهى ثرثارة تُفشى السر ثقليةٌ على الناس ، فحياتها شرٌّ ، وموتها خيرٌ وأبقى ، وهذا دليل على ما كان يحبه العربُ فى النساء ،وما كانوا يكرهونه منهن . وهو صورةٌ للهجاء بارعةٌ ما نجد ألطف منها لفظاً وأوقع منها أثراً فيما قرأنا لهذا

---

(١) الهون : المذلة ، الأرماس : القبور .
(٢) هرته : نبحته .
(٣) الغربال : الغمام ، الكانون : الثقيل من الناس .